ليوناردو دافنشى

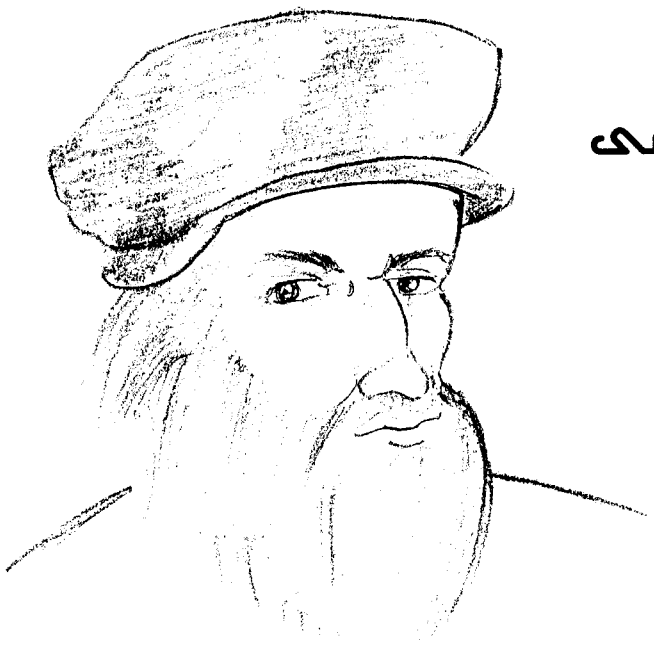

عـاشـق .. الـمـونالـيزا

ليونـاردو دافنشـى الرسـام المعـروف ، الـذى ذاع صيتـه فـى العالم، "وليوناردو" لم يكن رسامًا فقط ، بـل جمـع أنـواع العلـوم بـل وبـرع فيها كبراعته فى الرسم .

كانت حياته مليئة بالغرائب والأحـزان ، والحـظ السيئ ، أحـب فـى حياته مرتين : الأولى أمه التى حرم منها صغيرًا ، والثانيـة مونـاليزا التـى حرم منها كبيرًا ، والتى تزين لوحتها الآن متحف اللوفر وتعتبر من روائـع الفن على مر العصور.

ولد ليوناردو دافنشـى بعيـدًا عـن والـده بعـد أن فـرق جـده بـين والـده ووالدته، بعد أن علم أنها فقيرة ، فقد كانت أسرة والـده مـن أغنـى الأسـر

فى ذلك الوقت، وكان والده ذا مركز عظيم ، عاش ليوناردو مع والدته لفترة إلى أن أخذه جده ليعيش فى قصره بإذن من الشرطة لعدم قدرة والدته المادية أو الصحية على تربيته ، والعناية به.

وبالرغم من حزن " كاترينا" لفراق طفلها الذى اعتبرته الشىء الوحيد الذى يربطها بهذه الدنيا إلا أنها ارتاحت لهذا الأمر ، فقد شعرت أن ابنها سيعيش فى منزل ميسور يأكل جيدًا ويرتدى ثيابًا تعطيه دفئًا ، فسلمت الطفل لجده ، ودموعها منهمرة ، وكانت تتسلل إلى منزل الجد يوميًا تغالب مرضها لتلقى نظرة على ابنها الحبيب.

وعندما كبر ليوناردو وتعرف على أمه ، أحس نحوها بعاطفة جياشة، فكان يتسلق جدران السور ليذهب إليها ويرتمى فى أحضانها. كان ليوناردو فى طفولته يميل إلى العزلة ، ولا يحب المدرسة ، بل كان يحب التأمل ودراسة الطبيعة من حوله، فكان يراقب الطيور والنباتات والزهور وكان كلما كبر زاد حبه للمعرفة الحرة.

وفى يوم جاء والده ليصحبه معه إلى فلورنسا ليعيش معه ويكمل تعليمه فكاد ليوناردو أن يموت حزنًا فإن ذلك يعنى فراق والدته الحبيبة .

وفى فلورنسا وجد عالمًا آخر ينسيه أحزانه لفراق والدته ، فكان يقضى يومه بين الغابات، يراقب الطيور والحشرات ووصل حبه للمعرفة لدرجة أنه كان يشق جوف الحشرات والطيور ، ليعرف ما بداخلها وكان ليوناردو لا يحب المدرسة لأنها لا تشبع رغبته الملحة فى العلم ، فعلم المدرسة محدود بالنسبة له، وعندما علم والده بأمر تغيبه عن المدرسة غضب غضبًا شديدًا ، ولكنه عندما رأى بعض رسومات ليوناردو لأعضاء بشرية صعق، وأيقن أن ولده ليس طفلاً عاديًا ، فكانت الأعضاء مرسومة بدقة متناهية

وكان هذا بداية لعلم التشريح،ومنذ هذا اليوم بدأ " بييرو " يفكر فى مستقبل ولده.

قرر " بييرو " أن يرسل ولده للعالم العظيم " توسكانيللى " فهو عالم شامل، عالم فى النبات والرياضيات والطبيعة والفلك وهو الذى أرشد " كريستوفر كولمبس " بطريقة رياضية للقيام برحلته التى اكتشف بها أمريكا.

أفضى " توسكانيللى " بكل المعلومات لـ " ليوناردو " ولكن هذا لم يشبع بعد حب المعرفة لديه ، فبدأ ليوناردو يقرأ فى الشعر والأدب وعلم قراءة الكف ودلالات أشكال الأحجار الكريمة وكان إلى جانب كل هذا يعشق الموسيقى ، ويتمتع بصوت جميل . وبالرغم من عشقه لكل ذلك إلا أنه كان يعشق الرسم وكأنه لا يعرف غيره ، فكان يعطى وقتًا وجهدًا للرسم وينغمس بكل مشاعره فى الرسم ومزج الألوان.

وفى أحد الأيام دخل والده غرفته فوجد وحشًا مخيفًا ، فخاف والده وأصابه فزع رهيب إلى أن طمأنه ولده وقال له : إن هذا أحد رسوماته وليس وحشًا مخيفًا ، وهنا أدرك الأب موهبة ولده ورسمه الذى يكاد أن يكون حقيقيًا وأن رسمه يفوق جميع الرسامين الكبار فى ذلك الوقت .

ألحقه والده بمرسم " فيردكيو " أعظم صانع ونحات فى فلورنسا كلها بالإضافة إلى أنه مهارى ، ومصور ، وموسيقى وكان " فيروكيو " يتمتع بالصبر والاتزان وكان هادئ الطباع دائم التشجيع لتلاميذه ،وكان التلاميذ يعيشون فى المرسم ، فالمرسم كان مثل المدارس الداخلية، وبدأ ليوناردو يتعلم صناعة اللون ومفهوم المنظور الهندسى وخدعة استعمال الضوء والظل.

قضى ليوناردو فى هذا المرسم أجمل أيام عمره ، وكـان زمـلاؤه ينظـرون إليه كأبرع رسام شاهدوه على الإطلاق.

نبغ ليوناردو فى الكثير من العلوم ، وكان يدون اختراعاتـه وملاحظاتـه أولاً بأول ، ولكن بطريقة غريبـة ، فقد كـان يجيـد الكتابـة بكلتـى يديـه اليمنى واليسرى بنفس الدقة والإجادة ، فقد كان يكتب اللغة الإيطالية من اليمين إلى اليسار بدلاً من اليسار إلى اليمين حتى يحتفظ بسـر مـا يكتبـه ، فقد حوت أوراقه نماذج لاختراعات صممها بنفسـه . وعندمـا بلـغ الـ ٢٦ عامًا كان قد أصبح أعظم رسام فى إيطاليا كلها وأصبح يتقن تزيين السقوف والتعبير الصادق لملامح الشخصيات التى يرسمها.

استعان به الحكام سواء فى نابولى ، أو فلورنسا ، أو ميلانو فقد اخـترع ليوناردو مدافع جديدة لا تحدث الدفعة الناشئة عن رد الفعل عنـد انطـلاق القذائف كما اخترع عربة مصفحة ـ دبابة ـ ولكن لم يتـم استخدام أى مـن هذه الاختراعات، لأن الحكام كانوا يسارعون بعقد اتفاقيات سـلام . وذات يوم زارته أمه ففرح بـها كثـيرًا ، وعلـم أن حالتـها الصحيـة قـد تدهـورت كثيرًا، وقد أخذت تقتصد من مصروفات البيـت القليلـة لكـى تـأتى وتـرى ابنـها الوحيد.

وجد نفسه أخيرًا فى أحضان أمه الحنون ، وحب حياتـه ولكـن صحـة والدته تدهورت فأودعها أحد المستشفيات بميلانو وكانت مستشفى فخمة ، ولكنها ماتت بعد عدة أيام ، حزن ليوناردو حزنًا شديدًا وظل لأشهر طويلة يتذكر أمه.

وبهذا فقد ليوناردو حبًا كبيرًا أحس به ولكنه حرم منه والآن فـارق هـذا الحب للأبد .

فعاد ليوناردو لاختراعاته ورسوماته التى كانت تأخذ منه وقتا وجهدًا ، فقد ينهى اللوحة فى شهور ،أو حتى سنوات. أغرم "ليوناردو" أيضًا ، بالفنون المعمارية ، وحلم بتصميم مدينة جديدة تكون مبانيها أقرب إلى ناطحات السحاب، وبذلك يهيئ للطبقة الأرستقراطية الابتعاد عن الضوضاء، والتلوث وصمم أيضًا أول " كوبرى " متحرك ، وأيضًا قام بتصميم مغزل جديد لصناعتى الغزل والنسيج واخترع ماكينة نسيج واستبدل فيها الحركة اليدوية بالحركة الميكانيكية ، وأيضًا ماكينة تصنع الصفائح والشرائح الرقيقة من الحديد.

وأكمل ليوناردو اختراعاته الحربية لكى يساعد فى حماية بلاده من الغزاة فقام أيضًا بتصميم ملابس غوص وغواصة وسفن حربية جديدة ولكن لم يغز الأتراك مدينة البندقية ، وأصبحت اختراعات ليوناردو لا فائدة لها.

صمم أيضًا ليوناردو اختراع آلة تساعد الإنسان على الطيران وكان قد ظل يراقب لسنوات طويلة الطيور ليعرف الكيفية التى تطير بها، بل درس أيضًا الخفافيش والطريقة التى تتحرك بها أجنحتها وعضلاتها ، وتوصل بالفعل لتصميم نموذج لطائرة زودها بقدرة ميكانيكية، فكان ليوناردو أول من فكر وصمم الطائرة ، وفكر أيضًا فى وسيلة تحمى الإنسان عند سقوط الطائرة فكانت المظلة الواقية " البراشوت " ونرى أن ليوناردو ليس لديه وقت لكى يبحث عن الحب، فهو متفرغ تمامًا لرسوماته واختراعاته .

فى يوم أرادت الهيئة الحاكمة أن تخلد ذكرى معركة " إنجيارى " التى وقعت أحداثها قبل ميلاد ليوناردو ب ـ ٢١٠ أعوام ورشحت الهيئة ليوناردو لرسم هذه اللوحة بصفته أعظم رسام فى ذلك الوقت وطلب "

مايكل أنجلو "ـ وكان حديث الظهور وقتها ـ أن يرسم الجانب المقابل للوحة تحديًا لـ "ليوناردو" فوافقت الهيئة الحاكمة ، وبالفعل أنجز ليوناردو هذه المهمة وكانت لوحة معركة "إنجيارى" لوحة رائعة بكل معنى الروعة لوحة دقيقة واقعية وكأنه حضر المعركة بنفسه وسجل كل ما حدث فيها من تفاصيل دقيقة لأحداث كبيرة ولكن ولسوء حظ ليوناردو عندما أراد أن يجفف المثبت الذى وضعه على اللوحة وجد أن الألوان أخذت تسيل أسفل الجدار حتى اختفت اللوحة تمامًا، كاد ليوناردو يموت حزنًا وندمًا على هذه اللوحة العظيمة الذى بذل فيها جهدًا ذهنيًّا فوق أى وصف ومما زاد من ضيقه شعوره بهزيمته أمام (مايكل أنجلو) الذى كان يتحداه وينافسه .

وبقى ليوناردو فى عزلة وضيق إلى أن جاء اليوم الذى أعاد إليه الحياة والأمل ، حين جاءته شابة وأخذت ترجوه أن يرسم صورة للسيدة " موناليزا " زوجة السيد " فرانشيسكودل جيوكندا " التى فقدت طفلها الرضيع منذ أيام ، ولن يخرجها من أحزانها غير أن يقوم (ليوناردو) برسم صورة لها، وأحس ليوناردو أن عليه الوقوف بجانب هذه المرأة الحزينة ، وتم الاتفاق مع وصيفة موناليزا على أول موعد ، وحضرت موناليزا إلى المرسم ، كانت شابة فى منتصف العشرينيات ، جميلة ذات بشرة بيضاء كأنها من العاج، وكان أهم ما لفت نظره إليها هو ابتسامتها الغامضة ، تلك الابتسامة التى ذكرته بابتسامة أمه " كاترينا " ووجد أيضًا أن ظروف هذه المرأة تشبه إلى حد كبير ظروف أمه، ألم تفقده أمه حيًا وهى فى ربعان شبابها ؟!

بدأ ليوناردو فى رسم " موناليزا " ووضع فيها كل خبرته الفنية

وإحساسه العميق ، كانت موناليزا تجلس أمام "ليوناردو" لساعات طويلة، خشى أن تصاب موناليزا بالملل ، فقام بعمل نافورة فى الفناء وأحاطها بنبات زهرة السوسن التى تعشقها موناليزا لكى يجعلها تبتسم طوال الوقت.. قام باستئجار موسيقيين وقصاصين ليبعد عنها الملل ويشعرها بالبهجة طوال الوقت .

وكانت "موناليزا" بالفعل لا تشعر بمرور الوقت ، وكانت الساعات التى تجلس فيها أمام ليوناردو ليرسمها هى أجمل أوقات عاشتها فى حياتها ، فقد كان زوجها قاسيًا ولم تكن سعيدة أبدًا فى حياتها معه، وشعر ليوناردو أيضًا بقربه وسعادته عندما يرسم موناليزا وأنه لا يستطيع الاستغناء عنها فقد أحب فيها كل شىء: وجهها ورقتها وحديثها العذب ، ونسى معها هزيمته أمام مايكل أنجلو والخسارة الفادحة فى لوحة معركة إنجيارى وأصبح لا يفكر فى شىء إلا موناليزا.

ظل ليوناردو يرسم موناليزا مدة سبع سنوات كاملة ، حتى بدأ السيد جيوكندا يشعر بالغيرة على زوجته فذهب إليه وطلب منه أن يرى اللوحة، وعندما وجدها مكتملة طلب منه تسليمها إليه وسأله عن ثمنها ،شعر ليوناردو بألم شديد وأدرك أنه لن يرى موناليزا مرة أخرى فالسيد جيوكندا لا يريد أن يحرمه من موناليزا فحسب بل يريد أيضًا أن يحرمه من صورتها.

فكر ليوناردو سريعًا وأجاب السيد جيوكندا بأن اللوحة لم تكتمل بعد فهى تحتاج إلى لمسات نهائية لا تستدعى حضور السيدة موناليزا فوافق الزوج على تأجيل استلام اللوحة .

وفعلاً لم ير ليوناردو موناليزا أبدًا بعد ذلك ، ومر ليوناردو بأزمة مادية

شديدة بعد ذلك ولكنه لم يفكر فى بيع اللوحة ولا أن يعطيها "جيوكندا" ويحصل على ثمنها ، فكانت عنده أعز من أن يبيعها .

وواصل ليوناردو عمله وتصميم اختراعات جديدة ولكن لم ينس يومًا موناليزا فكلما أقبل الليل يخرج ليوناردو اللوحة ويظل يتأملها حتى الصباح .

وكان كلما ذهب إلى ميلانو يسأل عنها فى لهفة ، حتى علم أنها ماتت فحزن حزنًا شديدًا وأصيب بشلل فى ذراعه اليمنى ، وتوقع الجميع توقف ليوناردو عن الرسم ، ولكن ليوناردو فاجأ الجميع بلوحة رائعة لأنه كان يستطيع الرسم بيده اليسرى بنفس الدقة والكفاءة.

ظل ليوناردو يحافظ على لوحة الموناليزا حتى آخر يوم فى عمره فقد فكر فى الهرب خارج البلاد عندما أراد الحاكم اقتناء لوحة الموناليزا، وفى يوم من الأيام عثر عليه خادمه وقد فارق الحياة ، أما لوحاته فقد صارت من أعظم اللوحات فى العالم ولوحته الحبيبة "الموناليزا" تزين متحف اللوفر الآن يزورها الجماهير من جميع أنحاء العالم.

أما ابتسامة الموناليزا فقد أراد ليوناردو بها أن يخلد ذكرى أمه الحبيبة "كاترينا " والتى أحبها حبًا كبيرًا كالذى أحبه لموناليزا .